تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخاطبا للناس : { إنكم لذائقوا العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون } ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى : { والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات } وقال D : { لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات } وقال تعالى : { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا } وقال تعالى : { كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين } ولهذا قال جل وعلا ههنا { إلا عباد ا المخلصين } أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما شاء ا تعالى من التضعيف وقوله جل وعلا : { أولئك لهم رزق معلوم } قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى : { فواكه } أي متنوعة { وهم مكرمون } أي يخدمون ويرفهون وينعمون { في جنات النعيم * على سرر متقابلين } قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى Bه قال : خرج علينا رسول ا صلى ا عليه وسلّم فتلا هذه الاية { على سرر متقابلين } ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب وقوله تعالى : { يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون } كما قال D في الاية الأخرى { يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون } نزه ا سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الافات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا : { يطاف عليهم بكأس من معين } أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم وقوله D : { لذة للشاربين } أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى : { لا فيها غول } يعني لا تؤثر فيها غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس Bهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس Bهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر : .

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول .

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن وقوله تعالى : { ولا هم عنها ينزفون } قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر ا خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى : { وعندهم قاصرات الطرف } أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس Bهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم وقوله تبارك وتعالى : { عين } أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف E حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت : { فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم } أي هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي وهكذا الحور العين { خيرات حسان } ولهذا قال D : { وعندهم قاصرات الطرف عين } وقوله جل جلاله : { كأنهن بيض مكنون } وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس Bهما { كأنهن بيض مكنون } يقول اللؤلؤ المكنون وينشد ههنا بيت أبي دهبل الشاعر وهو قوله في قصيدة له : .

هي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون .

وقال الحسن : { كأنهن بيض مكنون } يعني محصون لم تمسه الأيدي وقال السدي : البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير { كأنهن بيض مكنون } يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة وقال السدي { كأنهن بيض مكنون } يقول بياض البيض حين نزع قشرته واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها الأيدي بخلاف داخلها وا أعلم وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة Bها قالت قلت يا رسول ا أخبرني عن قول ا D : { حور عين } قال : [العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر] قلت يا رسول ا أخبرني عن قول ا D { كأنهن بيض مكنون } قال : رقتهن [كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقدء] وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا حزنوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ا D ولا فخر يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض المكنون ـ أو اللؤلؤ المكنون] وا تعالى

أعلم بالصواب